

مجمع الأمثال

2409 - الْعَاشِيَّةُ تُهَيِّجُ الْآبِيَّةَ .

يُقَالُ : عَشَّوْتُ فِي مَعْنَى تَعَشَّيْتُ وَغَدَوْتُ فِي مَعْنَى تَغَدَّيْتُ وَرَجُلٌ عَشَّيَانُ أَيُّ مُتَعَشِّرٍ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : عَشَّيَ الرَّجُلُ وَعَشَّيْتُ الْإِبِلَ تَعَشَّيَ عَشَّيَ إِذَا تَعَشَّيْتُ قَالَ أَبُو النُّجْمِ :
تَعَشَّيَ إِذَا أَظْلَمَ عَنْ عَشَائِهِ .

يقول : يتعشَّى وقت الظلمة . قَالَ الْمُفَضَّلُ : خَرَجَ السُّلَايْكُ بْنُ السَّلَاكَةِ وَاسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ مُنَاةً بَنَ تَمِيمٍ وَكَانَ أَنْكَرَ الْعَرَبِ وَأَشْعَرَهُمْ وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَةً سُودَاءَ وَكَانَ يَدْعِي " سُلَايْكُ الْمَقَانِيبِ " وَكَانَ أَذَلَّ النَّاسِ بِالْأَرْضِ وَأَعْدَاهُمْ عَلَى رَجْلِهِ لَا تَعْلُقُ بِهِ الْخِيلُ وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَهَيَّئْ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ إِذَا شِئْتَ إِنِّي لَوْ كُنْتُ [ص 10] ضَعِيفًا لَكُنْتُ عَبْدًا وَلَوْ كُنْتُ أَمْرًا لَكُنْتُ أُمَةً اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَيْبَةِ فَأَمَّا الْهَيْبَةُ فَلَا هَيْبَةَ أَيُّ لَا أَهَابَ أَحَدًا . زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ يَرِيدُ أَنْ يُغَيِّرَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَمَرَّ عَلَى بَنِي شَيْبَانَ فِي رُبْعٍ وَالنَّاسُ مُخْصِمُونَ فِي عَشِيَةِ فِيهَا ضَبَابٌ وَمَطَرٌ فَإِذَا هُوَ بَيْتٌ قَدْ انْفَرَدَ مِنَ الْبُيُوتِ عَظِيمٌ وَقَدْ أَمْسَى فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُونُوا بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا حَتَّى آتِيَ هَذَا الْبَيْتَ فَلَعَلِّي أَصِيبُ خَيْرًا وَآتَيْكُمْ بِطَعَامٍ فَقَالُوا لَهُ : أَفْعَلْ فَاَنْطَلِقْ إِلَيْهِ وَجَنِّ عَلَيْهِ اللَّيْلَ فَإِذَا الْبَيْتُ بَيْتُ يَزِيدَ بْنِ رُوَيْمٍ الشَّيْبَانِيِّ وَإِذَا الشَّيْخُ وَامْرَأَتُهُ بَفَنَاءِ الْبَيْتِ فَاحْتَالَ سَلِيكٌ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ مِنْ مَوْخَرِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَرَاهُ ابْنَ الشَّيْخِ بِإِبْلِهِ فِي اللَّيْلِ فَلَمَّا رَأَاهُ الشَّيْخُ غَضِبَ وَقَالَ : هَلَا كُنْتُ عَشَّيْتُهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ ابْنُهُ : إِنَّهَا : أَبَتِ الْعِشَاءَ فَقَالَ يَزِيدُ : إِنْ الْعَاشِيَّةُ تَهَيَّجُ الْآبِيَّةَ فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ثُمَّ نَفَضَ الشَّيْخُ ثَوْبَهُ فِي وَجْهِهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَرَاتِعِهَا وَتَبِعَهَا الشَّيْخُ حَتَّى مَالَتْ لِأَدْنَى رَوْضَةٍ فَتَرَعَتْ فِيهَا وَقَعَدَ الشَّيْخُ عِنْدَهَا يَتَعَشَّى وَقَدْ خَنَسَ وَجْهَهُ فِي ثَوْبِهِ مِنَ الْبَرْدِ وَتَبِعَهُ السُّلَيْكُ حِينَ رَأَاهُ أَنْطَلَقَ فَلَمَّا رَأَاهُ مَغْتَرًا ضَرَبَهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالسَّيْفِ فَأَطَارَ رَأْسَهُ وَأَطْرَدَ إِبْلَهُ وَقَدْ بَقِيَ أَصْحَابُ السُّلَيْكِ وَقَدْ سَاءَ طَنَهُمْ وَخَافُوا عَلَيْهِ فَإِذَا بِهِ يَطْرُدُ الْإِبِلَ فَأَطْرَدُوهَا مَعَهُ فَقَالَ سُلَايْكُ : فِي ذَلِكَ .

وَعَاشِيَةٌ رُجٌّ بِطَانٍ ذَعَرَتْهَا ... بِصَوْتٍ قَتِيلٍ وَسَطَهَا يُتَسَّيِّفُ .
أَيُّ يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ .

كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنٌ يُرْدِي مُحَبَّرٍ ... إِذَا مَا أَتَاهُ صَارِخٌ مُتَلَاهٍ .
يُرِيدُ بِقَوْلِهِ " لَوْنٌ بَرْدٌ مُحَبَّرٌ " طَرَائِقُ الدَّمِ عَلَى الْقَتِيلِ وَبِالصَّارِخِ الْبَاكِيِ الْمُتَحَزِّنِ لَهُ .
فَبَاتَ لَهَا أَهْلٌ خَلَاءٌ فَيَذَاؤُهُمْ ... وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فَلَمْ يَتَعَدَّيْ فُؤَا

أَي لَمْ يَزَجِرُوا الطَّيْرَ فَيَعْلَمُوا مِنْ جَمَلَتِهَا أَيْقَتْلَ هَذَا أَوْ يَسْلَمَ .
وَبَاتُوا يَطْنُونُ الطُّنُوجَ وَصُحُفَتَي ... إِذَا مَا عَلَاوْا نَشَزَا أَهْلًا وَا
وَأَوْجَفُوا .

أَي حَمَلُوهَا عَلَى الْوَجِيفِ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ .
وَمَا نَلِئْتُهَا حَتَّى تَصْعَقَ لَكْتُ حَقِيبَةً ... وَكَدْتُ لَأَسْبَابِ الْمَذْيَةِ
أَعْرِفُ .
أَي أَصْبِرُ .

وَحَتَّى رَأَيْتُ الْجُوعَ بِالْمَصَّيْفِ ضَرَّ نِي ... إِذَا قُمْتُ يَغْشَانِي ظِلَالُ فَاسْدَفِ .

خص الصيف دون الشتاء لأن بالصيف لا يكاد يجوع أحد لكثرة اللبن فإذا جاع [ص 11] هو
دلّ على أنه كان لا يملك شيئاً وقوله " أسدف " يريد أدور فأدخل في السُّدْفَةِ وهي
الظلمة يعني يظلم بصرى من شدة الجوع .

يُقَالُ : إنه كان افتقر حتى لم يبق عنده شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرّةً من
بعض مَنْ يمرُّوا عليه فيذهب بإبله حتى إذا أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة
اشتمل الممّاء وهو أن يرُدَّ فَضْلَ ثَوْبِهِ عَلَى عَصْدِهِ الْيَمْنَى ثم ينام عليها
فبينما هو نائم إذ جنم عليه رجل فَقَالَ له : اسْتَأْذِنْ سِرُّ فرفع سليك رأسه وَقَالَ :
الليل طویل وأنت مقمر فذهب قوله مَثَلًا ثم جَعَلَ الرجل يلهزه ويقول : يا خبيث استأسر
فلما آذاه أخرج سليك يده فضمَّ الرَّجُلَ مَمَّةً ضَرْطَ مِنْهَا فَقَالَ : اضْرَطَّ وَأَنْتَ
الأعلى ؟ فذهبت مَثَلًا وقد ذكرته في باب الضاد ثم قَالَ له سليك : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ :
أنا رجل افتقرت فقلت لأَخْرُجَنَّ فلا أرجع حتى أستغني قَالَ فانطلق معي فانطلقا حتى وجدا
رجلاً قصته مثل قصتهما فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف جوف مراد الذي باليمن إذا
نَعَمٌ قد ملاء كل شيء من كثرته فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الحي فَقَالَ
لهما سليك : كُنَّا قَرِيبًا حَتَّى آتَى الرَّعَاءُ فَأَعْلَمَ لَكُمَا عِلْمَ الْحَيِّ أَقْرَبَ هُمْ أَمْ بَعِيدَ فَإِنْ
كَانُوا قَرِيبًا رَجَعْتُ إِلَيْكُمَا وَإِنْ كَانُوا بَعِيدًا قُلْتُ لَكُمَا قَوْلًا أَلْحَنُ بِهِ لَكُمَا فَأَغِيرَا
فانطلق حتى أتى الرَّعَاءَ فلم يزل يتسكَّطهم حتى أخبره بمكان الحي فإذا هم بعيد إن
طلبوا لم يدكوا فَقَالَ السليك : أَلَا أَغْنِيكُمْ ؟ قَالُوا : بلى فتغنى بأعلى صوته : .

يَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَاحِيَّ بِالْوَادِي ... إِلَّا عَيْدٌ وَآمٍ بَيْعٍ أَذْوَادَ .
أَتَنْظُرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أَمْ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ الرَّبَّحَ لِلْغَادِي .
فلما سمعا ذلك أَتَيَاهُ فَأَطْرَدَا الْإِبِلَ فَذَهَبَا بِهَا وَلَمْ يَبْلُغِ الصَّرِيخُ الْحَيَّ حَتَّى مَضَاوَا

